

فلسفة بناء النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين الفلسطينيين

The philosophy of building the text in the literary discourse of Palestinian detainees

د. حسين عمر دراوشة*

باحث في معارف اللغة العربية وعلومها- فلسطين

hussien2013333@hotmail.com

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2021/10/01	أنتج المعتقلون الفلسطينيون أجناساً أدبيةً متنوعةً لها خصائصها وبنيتها الفنية والموضوعية، فيدرس البحث فلسفة بناء النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين الفلسطينيين، وذلك بالحديث عن الكتابة الإبداعية عند المعتقلين الفلسطينيين، وتسليط الضوء على فلسفة بناء النص وتكويناته في سياق الخطاب الأدبي عند المعتقلين الفلسطينيين، واستعراض ذلك وفق تفاعلات أقطاب العلمية التواصلية من مبدع ونص وملتقي، وتوضيح ما سبق بالمنهج الوصفي، والارتكاز على علم النص وتحليل الخطاب، ومن ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث وتوصياته وفهرس للمصادر والمراجع.
تاريخ القبول: 2022/02/26	
الكلمات المفتاحية: ✓ بناء النص. ✓ الخطاب الأدبي. ✓ المعتقلين الفلسطينيين.	
Article info	Abstract :
Received 01/10/2021	<i>The Palestinian detainees produced a variety of literary races with their characteristics and their artistic and objective structure. The research studies the philosophy of building the text in the literary discourse of the Palestinian detainees, by talking about the creative writing of the Palestinian detainees, and shedding light on the philosophy of building the text and its composition in the context of the literary discourse of the Palestinian detainees, And review this according to the interactions of the scientific communicating poles of the creator, text and recipient, and clarify the above with the descriptive approach, and build on the science of text and the analysis of discourse, and then the conclusion, in which the results of the research and its recommendations and an index of the sources and references.</i>
Accepted 26/02/2022	
Keywords: ✓ Text construction. ✓ Literary discourse. ✓ Palestinian detainees.	

1. المقدمة:

نسج المعتقلون الفلسطينيون إبداعاتٍ أدبيةً في سجون المعتقلات الصهيونية، فجاءت هذه النصوص تحمل في ثناياها دلالات ومعاني لها إحياءاتها وتعبيراتها السطحية والعميقة في الخطاب الأدبي وتداولياته وأبنيته اللسانية، فلم يكن المبدع المعتقل بمنعزل عن روح الإنجاز والطاقة الإبداعية، فتنوع خطاب إبداع الأدبي في ظل ظروف الإبداع التي يحيها؛ بالإضافة إلى الفضاء المغلق الذي يبدع من خلاله؛ ليوصل رسائل ومقاصده للجمهور خارج إطار السجن وجدران أقبية التحقيق ومسالخ التعذيب؛ ليرسم لوحات فنية لها أبنيتها ومعماريتها ومضامينها التي تعبر عنها من خلال تصوراتها وتمثلاتها التي يستحضرها المبدع المعتقل عبر بناء نصوصه في سياقات الخطاب الأدبي المنجز، ومن هنا برزت مشكلة البحث.

1.1. مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في السؤال التالي:

ما فلسفة بناء النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين الفلسطينيين؟

ويحاول البحث الإجابة عن هذا التساؤل من خلال محاور البحث وأفكاره ونقاطه التي يحللها ويناقشها ويعالجها من خلال طبيعة أدب المعتقلين ونصوصه وظروف إنتاجه في الفضاء المغلق.

2.1. دواعي البحث: قلة تركيز الدراسات على فلسفة تكوين النص وبنائه ضمن الخطاب الأدبي عند المعتقلين الفلسطينيين، وانتشار النظرة العامة لأدب المعتقلين الفلسطينيين، وعدم الخوض في صلب النصوص واستدلالاتها فهي تشتمل على نصوص غائبة ومسكوت عنها؛ نظراً لظروف الاعتقال والملاحقة والمصادرة والسحق والنفي والاستبداد والتعذيب والعدوان الذي يتعرض له المعتقلون، وتجربتهم القاسية أمام الصبر على قسوة السجن و صلف المحتل.

3.1. أهمية البحث: التعرف على ظروف الكتابة الأدبية في المعتقلات الصهيونية، والكشف عن فلسفة بناء النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين الفلسطينيين، إثراء المشهد الأدبي والنقدي والمكتبة العربية بدراسة متخصصة في بناء النص في الخطاب الأدبي، استجلاء معالم الإبداع في المعتقلات وطبيعة شكله ومضمونه؛ ليتسنى للباحثين والدارسين والجهات ذات العلاقة الاستفادة من محاور البحث ومكوناته.

4.1. أهداف البحث: معرفة طبيعة الكتابة الإبداعية وأحوالها إنتاجها عند المعتقلين الفلسطينيين، وبيان فلسفة بناء النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين الفلسطينيين، وتناول ظروف الإبداع وكيفية بناء النص وصياغة الخطاب الأدبي ونسقياته ومرتكزاته التأويلية وآليات توليد دلالاته، وتقديم طرح أدبي ونقدي يسبر أغوار النص والخطاب في أدب المعتقلات، التي من شأنها أن تُثري المشهد الثقافي في السجون، وتعزز الكفاية المعرفية وتنمي الوعي، ولم يقتصر موضوع الصهيونية.

5.1. منهج البحث: يوظف البحث المنهج الوصفي مع الاستناد على علم النص وتحليل الخطاب في ضوء دوائر العملية الإبداعية (مبدع، نص، متلقي)؛ بالإضافة إلى استعراض القضايا التداولية في سياق بناء النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين.

2. الكتابة الإبداعية عند المعتقلين الفلسطينيين.

أبدع المعتقلون الفلسطينيون إنتاجات أدبية داخل المعتقلات الصهيونية، ولم يكن الأمر سهلاً في عملية الكتابة؛ لأن المعتقلون يعانون من عدم توفر أدواتها (البطش، 2007: 137)، علاوةً على منع قوات الاحتلال الصهيوني للكتب والمصادر والمراجع لكتابة على ذلك، فتعرضت كتابات المعتقلين للمصادرة والملاحقة، ومحاسبة المبدع المعتقل على كتاباته داخل أقبية السجون والزنازين؛ بالإضافة إلى تعرض نصوص الكتابات إلى الطمس والتلف والذوبان؛ نتيجة لعدم جودة أدوات الكتابة التي كانت تتمثل في ورق المحارم الرقيق، أو ورق كرتون التغليف، فأجرت إدارة السجون حملات تفتيش مفاجئة لجميع أدوات الكتابة والاتصال والتواصل مع الآخرين عبر النص المكتوب أو المنطوق على السواء، فطارد المحتل الأفكار وحارب عواطف الأدباء بالمعتقلات الصهيونية، واستطاع المعتقلون تدير الأفلام والسماح لهم بدخول الكتب، التي كان يمنع حصولهم عليها، وذلك عند قيامهم بتمرد داخل السجون عبر "إضراب القلم" في سجن عسقلان، وسجن نفحة في السبعينات والثمانينات (قاسم وآخرون، د.ت: 121 وحمدونة، 2018: 166)، وبالرغم من ذلك رقد الأدباء المعتقلون الأدب العربي الفلسطيني بنصوص زاخرة بالحس الوطني والإنساني والثوري والتنويري، الذي يستهدف عقول أبناء الأمة العربية والإسلامية، ويبرز حقيقة الصراع وقيمة أرض فلسطين المباركة ومكانتها القومية والتاريخية عبر الزمن.

واجتهد المعتقلون في توصيل إبداعاتهم الأدبية عبر وضعها وضغطها في (كبسولة) (دراوشة، 2020: 226)، ونجح أدباء المعتقلات في إيصال رسائلهم عبر دوائر ضيقة وخاصة، لا يمكن الكشف عنها لحساسية سياق الولادة الإبداعية داخل الفضاء المغلق وبنيته الحاملة (دراوشة، 2019: 38)، وساهم ذلك في أن ترى هذه الأجناس الأدبية النور وما بها من مضامين ومحاوَر وأفكار لنشرها في العالم الخارجي؛ لتكون كلمات حرة من نفس مبدعة ما زالت تقبع في المعتقل، ولكن يتم محاسبة المعتقلين على مضامين النشر، فتم معاقبة الكاتب المعتقل عمار الزين بمصادرة روايته "ثورة عيبال"، وعُوقب الكاتب المعتقل "وليد دقة" على نشره روايته "حكاية سر الزيت" (جاد الله، 2000: 49)، وزاد الإنتاج في الكتابة الإبداعية عند توفر التلفاز والهاتف المحمول في المعتقلات الصهيونية على متابعة واقع الحياة في الخارج (حمدونة، 2018: 167)، فأتخذ المعتقلون الفلسطينيون الكتابة وسيلة من وسائل الإفصاح عن الذات والتعبير عن حاجات النفس ومرامها، فجاءت مواضعها ذات تجليات سياقية لها حضورها اللافت في دوائر الإبداع والأدب، ولعبت ظروف الاعتقال دوراً كبيراً في تكوين الإبداع وصياغة أجناسه في القوالب الفنية والمحاوَر الموضوعية التي أنتجت القريحة الأدبية، التي استلهمت مادتها من واقع المعتقل والبنية الحاملة بالحرية والاستقلال والشوق والحنين والانعقاد من ربة الحبس (جاد الله، 2014: 2)، فهذه معادلات موضوعية تجد طريقها في عمق الإبداع الأدبي عند المعتقلين، ولها آثارها في بناء نصوص الخطاب المنتج عبر سياقات ومواقف وأحداث لها تجلياتها في متن المادة الكتابية والإبداعية عند المعتقلين الفلسطينيين.

ولم تكن الكتابة في المعتقلات الصهيونية ضرباً من العبث أو اللهو والترف بقدر ما هي ذات مغايري ومقاصد ورسائل عميقة لعموم أبناء الشعب الفلسطيني، تدور حول التنوير والثوير، كما تسهم بالدرجة الأولى في ترجمة المعاني الوجدانية والنفسية في قلوب المعتقلين وما يجول في عقولهم، وما يرسمه الخيال ذلك الماء الكريم الذي يسقي الجنس الأدبي ونواحيه الفنية والموضوعية، فالمتخيل له درجاته وحضوره الدائم في الذات المبدعة بالمعتقلات، فيتمرد الكاتب المعتقل على مختلف النواحي والأصعدة والمستويات، فيلاحظ أن فعوى الكتابة الإبداعية يأتي ممهداً معرفياً لفرض معادلات موضوعية جديدة لدى متذوقي أدب للمعتقلات وجمهور المتلقين، وتتمثل في إجراء تغيرات اجتماعية وتاريخية يفرضها الواقع (جاد الله، 2000: 48)؛ نظراً لطبيعة الصراع الحاصل على أرض فلسطين المباركة، ويمثل ذلك امتداداً رئيساً في تكوين النصوص وطرح خطاها في دوائر متنوعة ذات تشعبات ومنحنيات دلالية صاعدة، ترتبط بما تجيش به نفوس

الأبطال في السجون الذين حملوا أرواحهم على أكفهم رخيصة، وأفنوا زهرات شبابهم في أماكن الاعتقال والعزل بالسجون والزنازين، فتختزل الكتابة كثير من الآلام وقسوة المعاناة والقمع والوجع (السلطوت، 2012: 8)، الذي يتعرض له المعتقلون.

إن الكتابة الإبداعية عند المعتقلون الفلسطينيون هي عملية واعية مقصودة، اشتمل على نصوص ذات خطاب تفاعلي يختزل فيه المبدعون المعتقلون رسائل فيها شيفرات ذات دلالات محورية لها حضورها في الوجدان الجمعي للشعب الفلسطيني (تليمة وراضي، 1984: 465)، فهي تحمل جوانب استمهاضية وتثويرية وتنويرية لها عمقها القومي والتاريخي الذي يشكّل الهوية الحضارية للفلسطينيين في ضوء اتّخاذ الصراع مناحٍ غير تقليدية تهدد الوجود وتسحق الكينونة على نرى فلسطين الطاهر.

3. فلسفة بناء النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين الفلسطينيين.

يُبنى النص في الخطاب الأدبي العام من مجموعة من الرموز الكتابية والأصوات المنطوقة التي تمثل جوهر اللغة المادة الأساس في بناء النص وتكوين أطروحته الأساسية، فيجسد النص جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً الحديث التواصلي مع جمهور المتلقين (بارت، 1998: 37)، فيسهّم ذلك في تشكيل أنساق الكتابة والألفاظ والكلمات والمفردات وما تحويه من دلالات لها صلاتها بالبنية والتركيب وما يتعلق به من أحوال وشبكات علائقية في المتن اللغوي ذاته للنص، فيتألف جسم النص مع مكوناته ومحاوره وموضوعات، التي تمثل في مجملها الدلالات والمضامين من ناحية، والتصورات والتمثيلات من ناحية أخرى، التي يُبدع الأديب الكاتب في حياتها من خلال جنسه الأدبي المطروح وخطابه المنجز عبر النص المقدم لجمهور المتلقين؛ ويُلاحظ أن النص عند الأسرى يمثل منطلقاً أساسياً في رسم صورة المتخيل والواقع الحالم في الفضاء المغلق، الذي هو الوسط الذي يجري فيه الحدث الأدبي (بحراوي، 1990: 31)، فلا خلاف في التعرف على أوجه الاستدلالات في البنية اللغوية للنص في سياقات الخطاب الأدبي العام؛ بقدر ما يقوم عليه أدب المعتقلين الفلسطينيين من تصور ورؤية لها واضحة في رسم الملامح الخطابية للجنس الأدبي، وما يحويه من قضايا تداولية ذات امتدادات لسانية لها حضورها في الفهم الإجمالي للنص وظروف إنتاجه، فطبيعة الأدب أن يقدم رؤية شاملة ومستقبلية إلى الحياة (صبيحي، 1987: 25)، ويمكن فهم ذلك في ضوء قدرة الأديب المعتقل على توظيف خياله في نسج طرحه الأدبي وما يشتمل عليه من تصوراتها لها ارتباطاتها في العوالم التي تنصهر فيها عاطفة الأديب المعتقل، وتبرز فيها رؤيته للواقع والحياة، ولا ينفصم النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين عن الواقع؛ نظراً لتجربة الاعتقال والظروف الزاهنة التي جعلت المبدع المعتقل أن يشق طريق الإبداع وسط حنادس الظلمة، لكن ليس معنى ذلك أن النصوص ملتزمة؛ بقدر ما تشتمل عليه من بنية ترميزية لها دوالها وقدرتها الحجاجية القائمة على استعراض السلطة والدلالة المسكوت عنها في التقنية والتصوير والإسقاطات ضمن سياقات مختلفة (رماني، 1988: 53)، وقد يكون فهم الرموز والإسقاطات صعباً على الآخرين، ولكنها حين تنكشف لهم تنقل إليهم بهجة علوية لا تتحقق بأي أسلوب آخر (إسماعيل، د.ت: 32)، وقد يكون ذلك من خلال الشخصيات مثلاً في المنتج المسرحي والروائي والشعري عند المعتقلين الفلسطينيين، ويُلاحظ استخدام المعتقلون للحجج التي هي عنصر دلالي يؤدي إلى عنصر دلالي آخر هو النتيجة، والحجاج مؤشّر له في بنية اللغة، فهو في الظواهر المعجمية والصرفية والتركيبية والدلالية (العزاوي، 2020: 17)، والروابط والأدوات والإحالات في بنية الخطاب الأدبي عند المعتقلين.

وقامت أدوات الكتابة ووسائلها بدور كبير في تشكيل النص الأدبي وتكويناته؛ نظراً لما يُتاح للمبدع المعتقل من أوراق علب السجائر، وورق الكرتون الذي يدخل لها من خلال غلاف الأشياء والحاجيات، فهم يستغلون كل جذاذة أو قصاصة ورق؛ ليبدعوا في حياكة نصوصهم، ويُلاحظ أن ضيق المكان وأداة الكتابة يعمل على تحجيم النص أو الرفع من درجة كفاءته النصية وما تحويه في طياتها

من تصورات وتعبيرات إيحائية لها تمثالتها في إبداع المعتقلين؛ لأن الكتابة مجموعة من الأعراف والتقاليد والشفرات المؤسسية؛ فإنها ستكون هي الإطار الذي سيحدد ويُؤطر نص المؤلف عن طريق خضوع نصه لهذه القوانين، وبذلك يحدّد هذا الإطار أدبية النص ويعطيها مشروعيتها بقدر التزامها بقوانين المؤسسة (الرويلي والبازغي، 2002: 261)، أضف إلى ذلك التأثير بالاختزال النصي لمعطيات الفكر والعاطفة؛ لأن ذلك عرضة في ظروف الإبداع للمتابعة والمسائلة والتحقيق، فيعمد الكاتب على الشيفرات الدلالية والمرتكزات التأويلية في توليد المعاني وإيصال مقاصد النصوص وتبليغ رسائلها.

أثرت ظروف الاعتقال في سجون الاحتلال الصهيوني على بناء النص في الخطاب الأدبي، فهذا النص في ذاته مطارِد، وتم إنتاجه في ظروف غير اعتيادية، يبرهن من خلالها المعتقل ذاته المسحوق ويتحدى نفسه وواقعه وسجانه؛ ليخط نصوصاً ذات رسائل ومقاصد تحمل في ثناياها درجات بيانية مختلفة؛ تتخذ أساليب متنوعة في العرض والطرح والترتيب والتنظيم، فلم يكن المبدع المعتقل في فسحة من أمره عندما يخطّ النص ويبدأ بتدوينه وتوثيقه، ويحبس الأنفاس لذلك؛ خوفاً من مصادرة السجن الصهيوني لذلك، فتعدد وسائل كتابة النصوص، وأثرت في إخراجها ونقل رسائلها وفهم مقاصدها، ورغم ذلك وصلت إلى جمهور المتلقين، وبلغت المراد منها، وتعرض كثير منها للمصادرة والمسائلة من قبل إدارة السجون الصهيونية، واحتجز كثير من الكتاب المعتقلين؛ لفهم أطروحاتهم ومقاصدهم من كتاباتهم؛ ويثير ذلك رعب الصهاينة في معرفة مكنون نصوص خطابهم الأدبي وما يختزله من رسائل؛ يمكن أن يبعثها أهالي المعتقلات للمتلقين خارج أسوار السجن ويكون لها تأثيراتها على أرض الواقع، ويُفهم من ذلك أن النص في ذاته مستهدف ويُطارِد في أثره وتفاعلاته مع مختلف المجريات والأحداث والجماهير بشتى توجهاتها.

لقد شجّع الفضاء المغلق للسجون والمعتقلات الصهيونية على بناء النص وصياغة الخطاب الأدبي عند المبدعين المعتقلين، وذلك أن المبدع المعتقل يحاول أن يرسم ملامح حياته، ويتخذ من الكتابة أسلوباً للحياة ومنهجاً لها، يتمتع فيها عقله وقلبه وينمي عاطفته ويرعى مشاعره وأحاسيسه؛ ليجد نفسه أمام مكونات ذات قدرات خطابية مشحونة بالدلالات والمعاني، ولها دوائرها في عوالم التصورات والتمثيلات والاستدلالات التي يريد أن يعبر عنها ويوحى إليها عبر النص المنجز في سياق مختلف لها دواله الترميزية والبنوية والسميائية التي بمقدورها أن توصل رسائل النص ضمن الخطاب الأدبي المتداول، وما يشتمل عليه من مسائل وقضايا لها حضورها في أدب المعتقلات الصهيونية بشكل مباشر وغير مباشر، فعلى قارئ النص أن يستحضر عالم الإشارة من خلال نظام الكتابة أو من خلال سياق الخطاب؛ لأن النص يشتمل على مدلولات صريحة ومدلولات كامنة في النص الغائب والمسكوت عنه (قطوس، 2002: 45).

ويفتح المبدع المعتقل عبر نصوصه اتصالات مع جمهور المتلقين، فيوظف من خلال ذلك خياله وتجربته ومواقفه وواقعه وأحلامه وأمنيته بالانعتاق والتطور والنهضة والتحرر (جاد الله، 2014: 63)، فيرسم ذلك صورة نصية متفاعلة لها أدواتها اللغوية وأبنيها اللسانية في الخطاب الأدبي الشعري والمنثور، فتجمع نصوص المعتقلين أشكال شتى من التعابير اللغوية وتجسيديتها وما يرتبط بذلك من إحياءات وما ينتج عن ذلك من لغة شعرية معبرة عمّا يجول في نفس المبدع وما يدور في عقله؛ فيطرح النص بذلك رؤية فنية وموضوعية تبرز كعلامة فارقة في مكونات نصوص الخطاب الأدبي عند المعتقلين في السجون الصهيونية، فيواجه قراء أدب المعتقلين صعوبات في تركيبية النصوص؛ لأنها تبدو كأنها ليست نسيجاً نصياً متكاملًا؛ ويرجع ذلك للتجربة الإبداعية التي تنطلق من أصول ثورية قائمة على الرفض والتمرد، علاوةً على كونه أدب خاص من فروع الأدب العربي الفلسطيني، فطبيعي أن يتأثر النص بعمل مبدعه وتجربته التي يختزلها في ذاته المبدعة، ولا يغتصب ذلك من النص روح الخيال الأدبي المبنية على الأمل والشوق والحنين والبنية الحاملة التي تجول في الخطاب الأدبي ضمن الأجناس الإبداعية المختلفة في حقول النظم والنثر.

إن فلسفة بناء النص عند المعتقلين لها ارتباطاتها الأيديولوجية (زكي، 1972: 17) ودوافعها الإنسانية التي تشكل الخطاب الأدبي العام، والتي تسهم في إنتاج النص، فلا يوجد نص بلا متعلقات وسياق يدور في خلدته؛ لذا يمثل النص إنتاجاً منطوقاً ضمن خطاب لغوي (دراوشة، 2019: 4)، فمعطيات اللغة في النص والخطاب تأتي في سياق عرقي اجتماعي، تحدث المعتقلون من خلاله في صلب أجناسهم الأدبية عن الأحداث الميدانية ومجريات تجربة اعتقالهم ومقارعتهم للمحتل في ساحات المواجهة، ونقل المعتقلون مشاعرهم وأحاسيسهم الإنسانية النبيلة، فأثر ذلك في طريقة بناء النص وطرحه من ناحية المضامين ومن ناحية الشكل وأسلوب التعبير واللغة المستخدمة في ذلك، ومرجعية التأثير ودرجاته البلاغية ترجع إلى أسباب الإبداع ودوافعه وظروفه التي تجمع بين الخيال الحالم والواقع المرير، فيداخل ذلك على مستوى الفكرة والعاطفة واللغة والأسلوب؛ بمعنى أن المبدع يبحث في ذاته ومحيطه عن الحرية ونيل الاستقلال (جاد الله، 2000: 32) بعيداً عن جبروت المحتل وقسوة السجن، ويصبغ ذلك بلغة شعرية وإن كانت متمردة ثورية في ظاهرها في إنسانية في عمقها التعبيري والإيحائي، ويعود ذلك لطبيعة الاعتقال وممارسات السجن والظروف المحيطة بالمبدع المعتقل، فيلاحظ أن البنى اللغوية واللسانية واستعمالاتها النصية في سياق الخطاب الأدبي تميل إلى الكثافة التعبيرية في الطرح والتكوين التركيبي واللساني، وذلك من خلال توظيف الألفاظ والتراكيب والمواد اللغوية التي تصنع أسلوباً له مميزات التي يتجلى بها أدب المعتقلين.

والناظر إلى طبيعة بناء نصوص الأعمال النثرية من روايات ومذكرات ويوميات ورسائل وكتب ذات مضامين فكرية واجتماعية ودينية وسياسية، يُلاحظ قوة الطرح والتكوين النصي للخطاب المقدم عبر هذه الأجناس النثرية ونصوصها؛ بمعنى أن نص الجنس النثري يتألف من مقدمة ومعادل موضوعي له امتداداته تبرز فيه شخصية المبدع المعتقل من خلال المحور والفكر الذي يشتمل عليه في العادة، فيمتاز النص بالتركيز من ناحية الموضوع، ويتخذ بنية فنية تبدأ بنقل أحداث ووقائع عادةً ما ترتبط بحياة المعتقل وكيفية اعتقاله وأسلوب التعامل معه، أو يستقي مادته الإبداعية من تجربته النضالية في مقارعة المحتل، فمثلاً بداية نصوص روايات المعتقلين تبدأ بحدث خارج ظرف الاعتقال، وتبرز ظروف الاعتقال وتأثيراتها في متن الرواية. وقد يكون السبب المباشر هو المصادرة، فينقطع بناء النص ويصرح المبدع المعتقل بذلك، ويبين آليات العودة من خلال مفاوضات مع إدارة السجن، ويعود بعدما انقطعت الفكرة في الكتابة النثرية، وهذا أسهل من انقطاعها في الكتابة الشعرية وتكوين نصوصها داخل المعتقلات الصهيونية، فيتجسد ذلك في جامع النص الذي يتمثل في الخصائص العامة المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدة (جينيت، 1986: 81)، ويشير ذلك إلى أن لحظة ميلاد النص ونشأته يكتنفها كثير من المخاطر على مستوى الفكرة والتدوين والإخراج والنثر، فيوحي ذلك بأن الخطاب الأدبي أصل مولّد لعدد لا نهائي من النصوص (ناظم، 1994: 33)، التي تنتمي لأجناس مختلفة، وانعكس ذلك على فلسفة بناء النص في الخطاب الأدبي، وتكوين الصورة العامة في الدراسات الإبداعية والأدبية والنقدية، ويسهم في خفوت الفكرة، وقد يزيد تمثيل العاطفة مع إصرار المبدع المعتقل، وتكثيف البنية اللغوية والأسلوب نظراً لظرف الاعتقال وما تعرض له النص المنتج من مصادرة (قراقع، 2001: 20)، وقد يؤدي ذلك إلى بتر النص وعدم اكتمال تصوراتهِ في ضوء المداهمات المتكررة للمعتقلين.

تأثر شكل إعداد نصوص الأجناس النثرية والشعرية في الخطاب الأدبي، فجاءت الرسائل ذات شكل مباشر لا تتبع قالباً فنياً معيناً في الطرح والإنتاج والتداول؛ بالإضافة إلى تداخل أسلوب الوصف وتقنيات السرد في الروايات والسير الذاتية، واختلاف درجات الرواية في السرد، الذي هو تأليف لمتناشرات تحدث في العالم يجمع بين أشكال السرد التخيلي كالقصة والرواية، والحقيقي كالتاريخ، وكيانات مشكّلة كالهوية، وأنظمة ثقافية ناشطة كالأيديولوجيا في كتابات المعتقلين (كاظم، 2016: 8)، وتوظيف ضمائر التعبير المتبعة في النص، فيميل الخطاب الأدبي عند المعتقلين في الغالب الأعم إلى التعبير الجمعي بالضمير المنفصل "نحن"، والضمير المتصل "نا" بالأسماء

والأفعال والحروف بعض النظر عن موقعه التركيبي في الإعراب، والارتكاز على السارد العليم والخبير في رواية الأحداث وتسلسلها، ويُلاحظ أن التنوع في تقنيات السرد من استباق واسترجاع في بنية الخطاب الأدبي نابع من التجربة الإبداعية ومقوماتها وعناصرها التي عايشها المبدع المعتقل، أو شكّل رؤيتها من خلال وجوده في المعتقل، فيصعب ذلك النص بفلسفة بنيوية في سياق الخطاب الأدبي المتفاعل الذي يترجم ويعبر عن الحالة الإبداعية التي يمر بها.

ويتّضح من ممارسات إنتاجات الإبداع عند المعتقلين أن بنية نصوص الخطاب لها سماتها ودلالاتها التي تعبر عن الحالة النفسية والوجدانية التي يمر بها المبدع المعتقل، حتى الخيال يمثل جزءاً من الذات المبدعة؛ لكي لا يُفهم بأن أدب المعتقلين أدباً ملتزماً، وإن كان الالتزام لا يعيبه في التعبير عن هموم الشعب الفلسطيني وتطلعاته إلى الحرية والاستقلال، فيُلاحظ أن تكوين الصورة الحيّة واستدعاء مفرداتها من المقومات التي يُبنى عليها الجنس الأدبي الهادف في إبداعات المعتقلين؛ بالإضافة إلى صبغة المادة الخام للغة العربية التي يمثلها الصوت وما به من سمات وخصائص لها استدلالاتها ومعانيها الهامشية في سياق التعبير الأدبي عند المعتقلين، فانتهج المعتقلون في إبداعاتهم إلى الارتكاز على أصوات الجهر، وهو انحباس جري النّفس عند النطق بالحرف لقوته؛ وذلك لقوة الاعتماد على مخرجه. وحروف الجهر تسعة عشر حرفاً، وهي: (أ ب ج د ذ ر ز ض ط ظ ع غ ق ل م ن و ي ا)، وتوظيف أصوات الهمس، وهو ضد الجهر، فهو انطلاق النفس عند النطق بالحرف لضعفه؛ وذلك لضعف الاعتماد على مخرجه، وحروف الهمس عشرة وهي: (ت ث ح خ س ش ص ف ك ه) (الصالح، 1960: 281)؛ للتعبير عن حقهم في الدفاع عن الوطن ونيل الحرية، ونقل همومهم وآسهم وطموحاتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم وحاجاتهم النفسية، والتعبير عبر أصوات القلقل (قطب جد) عن روح المعاناة والمأساة التي يحيها أهل المعتقلات من قسوة وقهر وألم ووجع وجبروت، يقلق النفس ويثير فيها الاضطراب، فتشترك هذه الأصوات في خواص راجعة؛ لكونها شديدة انفجارية ومجهورة (السعران، 1997: 134)، فيساعد توظيف هذه الأصوات على الوضوح السمعي عند جمهور المتلقين، واعتمد المعتقلون على أصوات اللين التي تعبر عن النفس الإبداعي والحالة الشعورية ومعطياتها؛ بالإضافة إلى توظيف المقاطع الصوتية القصيرة (ص ح)، والطويلة (ص ح ح ص)، التي تبرهن على الحالة النفسية للمبدع في سياق الموقف الذي يتحدث من خلاله عبر بناء النص، وإيراده في أتون سياق خطابي عام له منحنياته الدلالية وإشارات الموجودة فيه من خلال أبنية وتصوراته ومشكّلاتها المباشرة وغير المباشرة، ووظف المعتقلون الأصوات المشددة، التي تعبر عن الضغط والكبت النفسي في الذوات المبدعة، والتي تبيّن أيضاً درجة النبر والتنغيم في ضغط الأصوات أو مد المقاطع الصوتية، والنبر معناه أن مقطوعاً من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيداً من الضغط أو العلو "نبر علوي (stress accent)، أو يعطي زيادة أو نقص في نسبة التردد نبر يقوم على درجة للصوت (pitch accent)، أمّا التنغيم فهو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين (ماريوباي، 1998: 92)، وينتج عن ذلك قصر الحركة أو طولها في المعطي اللساني لبنية النص في سياق الخطاب الأدبي، فتحدد صفات الصوت ومكان مخرجه الذي يضيق فيه مجرى الهواء أو يغلق، أو كيفية صدور الصوت عند الخروج من حيث اهتزاز الأحبال الصوتية أو درجة التضيق والغلق من ناحية أخرى (الشنيري، 2004: 8)، يسهم ذلك في تكوين المعاني وشحن النص دلاليّاً.

ووظّف المعتقلون البنى الصرفية التي تتمثل في أوزان الأفعال والأسماء والمصادر والمشتقات وما تشتمل عليه من صيغ لها استدلالاتها في بناء النص واستخداماتها ضمن الخطاب، ولا يخرج عن كونه وسيلة اتّفق عليها أفراد الجماعة اللغوية لأداء المعنى، فهو وعاء للمعنى، وخادم له، وصحة أداء المبنى للمعنى هي غاية ما يسعى إلى علم النحو، أو هكذا يجب أن يكون، ويؤدي هذا يُسمى بالوضوح (حميدة، 1997: 19)، فتسهم بنية الأفعال في زمن الماضي والمضارع والأمر وكذلك اللازم والمتعدي والمتصرف والجامد بطبيعة الجنس اللغوي في المقام الأول، والتعبير عن الدلالة المكنونة في ذات المبدع المعتقل، وتقوم الأسماء بمختلف أنواعها من اسم ذات واسم

جنس جمعي وأسماء الأعلام والألوان والأصوات وما إلى ذلك، بحمل دلالات لها علاماتها اللغوية والسيمائية وما تشتمل عليه من دوال في معتقد المعتقلين وتصرفاتهم وخلفاتهم الفكرية والثقافية، فالنص موضوع لعدد من الممارسات السيمولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية؛ بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها (فضل، 1992: 211)، أضف إلى ذلك ما تجسده المشتقات من اسم الفاعل والمفعول وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم التفضيل من جانب وصفي في الأساس للدلالة وإيحاءاتها في سياق نصوص الخطاب، فهي تشترك في كونها شديدة الاتصال في معنى الحدث ووصفه من ناحية معناها الوظيفي (حسان، 2006: 166)، وتفيد المشتقات معنى المشتق منه، وتزيد في الدلالة عليه معنى آخر، ثم ذلك المعنى الزائد يختلف بحسب اختلاف الصيغ المشتقة (ناظر الجيش، 1428: 27770/6)، ويلاحظ أيضاً أن حروف الزيادة في بنية الأفعال تسهم في نقل الدلالة والمعنى داخل النص والسياق، فكل زيادة المباني دليل على زيادة المعاني (السامرائي، 2000: 11/1)، فيرفع من درجة التلقي وقيمة المنتج من خلال التفاعل النصي والدلالي والسياقي وتداولياته، ويسهم البناء الصرفي للنص في الوقوف على جوانب الكلمات الثابتة والمتغيرة، ومعرفة التبدلات الصوتية، وهي تركيب جوانب تبادلية المواقع في الأبنية تسهياً ورفداً (عبد الجليل، 1998: 40).

ووظف المعتقلون الفلسطينيون في إنتاج نصوص خطابهم الأدبي بنية الجملة التي تقوم في أساسها على الإسناد وتحصيل الفائدة (أبو المكارم، 2006: 22)، فاستحضر المعتقلون الجملة الاسمية وأنماطها في الحديث عن الثوابت الوطنية والحقوق التاريخية والإنسانية، وتدل الجملة الاسمية على الثبوت، وبنية الجملة الفعلية وأنماطها في ترجمة روح المعاناة المتجددة عندهم، فتدل الجملة الفعلية على التجدد والاستمرار (القزويني، د.ت: 110/2)، ويرتبط ذلك بطبيعة السياق والمقام؛ بالإضافة إلى أحوال الجمل في التقديم والتأخير الذي يتصرف في الرتب اختبار قصدي واعٍ، وتحكم وظيفي في العلاقات النحوية المتحركة، وتسير هذا التحكم الوظيفي في العلاقات النحوية قواعد بلاغية تواصلية ومن أؤكد هذه القواعد البلاغية التواصلية، مطابقة الكلام لمقتضى الحال ومناسبة خواص التركيب لخصوصيات القصد، والمخاطبُ يعتمد الأسلوب الذي يرد عليه القول في تأويل القول، ومن التصورات المستقرة في التفكير النحوي والبلاغي العربي، أن التقديم والتأخير؛ للتخصيص والتوكيد، هما القيدان الدلاليان اللذان يسيران التقديم والتأخير، والوظيفتان البلاغيتان المسيرتان لكل تأويل تعاملي يتعلق بالقول الموسوم بالتقديم والتأخير، لما يمثله التقديم من رعاية لكيفيات الدلالة والقصد وكيفيات النحو في نصوص الخطاب الأدبي عند المعتقلين، فيوقع بتوحيه المتكلم في سبك التراكيب والنظم، خصوصيات زائد بها يتقيد المطلق من المعنى، ويتعدل المختلف فيه من الأحكام والمعتقدات ويبرز الموقف التخاطبي في الوضع التخاطبي بين المتخاطبين (زبيدي، 2020: 6)، ووظف المعتقلون الفلسطينيون أسلوب الاعتراض في متن التراكيب لفائدة ومغزى يريد إيصاله المبدع المعتقل لجمهور المتلقين؛ ويفيد توكيد الجملة وتقويتها (الراجحي، 1999: 350)، وشبه الجملة الدل على الظرف والجار والمجرور؛ لأن النحاة تخيلوا متعلقاً لكل من الجار والمجرور والظرف، وهذا المتعلق المحذوف يقدر فعلاً أو شبه فعل بطريقة مناسبة لسياق الكلام (عيد، د.ت: 212)، ويفيد شبه الجملة معنى في غيرها داخل النص، وتوظيف الحروف بالتألف مع الأسماء والحروف، كحروف النفي والتوكيد والعطف، وتكوين التعابير الناتجة عن الجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه والمسند والمسند إليه، فهذه قيود تكون الجمل في التركيب النحوي واستخداماته داخل نصوص الخطاب الأدبي عند المعتقلين. وتسهم في تحقيق الترابط والانسجام والترابط النصي، ويدخل في هذا الباب الأساليب التعجب والقسم والشرط والجزم والتخصيص والندبة وما إلى ذلك، فهذه الأساليب لها دلالاتها العميقة والسطحية ضمن بنية نصوص الخطاب الأدبي في إبداعات المعتقلين الفلسطينيين، التي تميز هذا النوع من الأدب بما يشيع فيه من صيغ صرفية مخصصة، أو أنواع معينة من الجمل والتراكيب، أو مفردات يؤثرها صاحب النص الأدبي في بنية جنسه ضمن إنتاج خطابه الأدبي، فيتميز الأسلوب الأدبي بتميز بوجود العاطفة والخيال وبما فيه من أشكال تركيبية "إنشائية" (جبر، 1988: 4-5)، ويلاحظ أن التركيب له أنماطه وشبكاته العلائقية التي تتأثر

بطبيعة أحوال التركيب وأسلوب الحذف والإضمار والتقديم والتأخير والإنابة والقصر والاستثناء، ويرتبط ذلك بالأسلوب البياني وأوجهه البلاغية في الاستعمال اللغوي، فهو يعبر عن الخلفية الفكرية والثقافية والنفسية التي تأثر في إنتاج نصوص الخطاب الأدبي وإنشائها وتنظيم مختلف مشكلاتها اللغوية وخلفياتها غير اللغوية، وكذلك رسائلها غير المنقوطة، ويتضح أن ذلك يرفع من الدرجة الإشهارية للخطاب الأدبي، وتوصيل الرسالة التنويرية والاستنهاضية (محمد، 2005: 30) من خلال تفاعلات جمهور المتلقين، فيتضح أن الجملة وحدة خطاب وأنها تعرف بكونها وحدة خطاب، فالجملة وحدة باعتبارها قطعة من الخطاب، وهي وحدة تامة لها الآن نفسه معنى ومرجع (الشاوش، 2001: 48/1).

واشتمل النص في الخطاب الأدبي على بنية معجمية لها دلالاتها الحقيقية؛ بالإضافة إلى الاستعمال التصويري، وخرج المفردات والألفاظ والتراكيب والعبارات في المادة اللغوية بنصوص الخطاب الأدبي عند معانها الحقيقية واستدلالاتها؛ لتشحن نفسها في الاستخدام المجازي ضمن التصورات والتمثيلات التي يوظفها أهل الإبداع في المعتقلات؛ بمعنى أن الأديب المعتقل يتمتع في معجمه الأدبي من وحي ظروف الاعتقال وواقعه الذي يحياه وتأمالاته وتطلعات التي يصبو إليها من قلب عزلة السجن والزنازين، واستخدام الأديب في بنية نصوصهم ألفاظ تدل على المعتقلين وأحوالهم وظروف احتجازهم؛ نحو: (السجن، المعصم، القيد، البرش، الزنازة، الفورة، التحقيق، الشبح، الأسلاك، الشد، الضرب، الركل)، ويوحى ذلك بقسوة السجن وقوة الألم والوجع الذي ينتاب المعتقلون الأحرار في سجون البغي والظلم.

وأثقت الأديب المعتقلون استخدام الترميز والتكنية والاستعارة والإسقاطات؛ نحو استخدامهم: (الحمامة، غصن الزيتون، الغراب، الصقر، الكلب، الورد، البرتقال، الزهرة)، فهذه الكلمات تعبر عن كيانات ناطقة وغير ناطقة خرجت عن معناها الأصلي؛ لتجسد معنى جديداً يودعه المبدع المعتقل في ثنايا نصه، وهي ذات دلالات ثورية وردت في سياق الخطاب الأدبي ودوائر الاستعمال النصي لها في إبداعات المعتقلين، ويوحى ذلك بنقل تجاربهم، وحماية إنتاجهم الأدبي والحرص عليه من الوقوع في يد السجان، فيتم مصادرتة أو إتلافه، فيشير استعمال الترميز في أدب المعتقلين إلى التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة، التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية، ويختزل الرمز إحياءات يوظفها الكاتب المعتقل للدلالة على نواحٍ شتى في نفسه، فهو ذو لمحة دالة، فالرمز هو أدق معنى ممكن، إذا نظرنا إلى العامل الذي حرك الكلمات وما أحدثته هذه الكلمات حينما تحركت (ابن جعفر، 1939: 90 وهلال، 1983: 398 وهايمن، 1960: 49/2)، كل ذلك بقصد التعمية على قوة السجان.

وأضفى الأسرى الحياة على الجمادات وأنسنة المكان في التعبير عن الحالة الوجدانية والنفسية، التي يمر بها المعتقلون في سجون الاحتلال، فيساعد ذلك على إضفاء تفاعلات نصية يشارك فيها المتلقي ويفهم مغازي النصوص ورسائل الخطاب المنجز عن طريق تحليلها والوقوف على مكونات دلالاتها، ووظف الأسرى مفردات ذات حقول دلالية تشترك فيما بينها؛ لتعبر عن الحالة الشعورية واللاشعورية في إبداعات الأسرى الفلسطينيين، فتتميز البنية المعجمية لنصوص الخطاب بخصوصيتها وفاعلية تأثيراتها على النص ذاته وعلى جمهور المتلقين، وتجمع الحقول الدلالية للنصوص بين المعنى المعجمي والسياقي (دراوشة، 2018: 200)؛ مما يبرهن على ارتفاع كفاءة النص الأدبي في إبداعات المعتقلين وكتاباتهم الأدبية وتنوعات خطابهم الأدبي في الأجناس النصية المختلفة.

وارتكز المعتقلون على توظيف مرتكزات تأويلية تتمثل في استخدام أسلوب الاستفهام غير محدد الإجابة في بنية النص، فيمثل الاستفهام في ذاته طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه إنه طلب خبر ما ليس عندك؛ أي طلب الفهم (مطلوب، 1980: 118)، وكيف عندما يكون غير محدد الإجابة في النص ذاته، وقد يفهم من سياق الخطاب المنجز؛ فيطلب ذلك إجابة تفاعلية من المتلقي، وقد يكون ظروف الإبداع منعت المبدع المعتقل أن يفصح عما يريده، ولكن ذلك يثير انتباه المتلقي ويبرز المعنى

والاستدلال ويوضحه في متن الخطاب الأدبي، واستحضار نسقيات كتابية ذات منحنى تأويلي في تكوين الفراغات التأويلية كعلامة الحذف التي يشير من خلالها المبدع المعتقل إلى الاكتفاء ببعض الكلام المنقول، والاستغناء عن بعضه؛ مما لا يتصل اتصالاً وثيقاً بحاجة الكاتب، فيحذف ما يستغنى عنه، ويرمز لها بثلاثة نقاط (...): مما يدل على أمانة المبدع وصدقته (إبراهيم، د.ت: 103)، وتوحي علامة الحذف على شيء لم يذكره المبدع وأضمره في ثنايا نص خطابه، ويعود ذلك لطبيعة الاعتقال والظروف المحيطة بالمبدع، وعلامة الاعتراض في النسق الكتابي للجنس الأدبي وأطروحاته ورسائله ومغازيه، التي تكون ذات قيمة دلالية شارحة، تعمق فهم رسائل النص والخطاب في أدب المعتقلين، ووظف المعتقلون بنية التكرار في أسلوب النص، فالتكرار من الوسائل المهمة التي تربط بين عناصر النص، فيسهم في تحقيق التماسك النصي، ولم يقتصر التكرار على اللفظ نفسه فحسب بل بالترادف والمعنى والضمائر (الفقي، 2000: 17/1) المستخدمة في بنية نصوص الخطاب الأدبي عند المعتقلين، ووظف المعتقلون تقنية تراسل الحواس، التي توحي بتذوق الجمال عبر التفاعل المباشر مع النص والخطاب المطروح، واستخدام دلالة الألوان وسميائيتها في متن نص الخطاب الأدبي المنجز، والتي توحي بدلالة في ذات المبدع المعتقل، فالعلامات اللغوية وما تشتمل عليه من معاني ودلالات لها حضورها اللافت في أدب المعتقلين الفلسطينيين، كل هذه التقنيات النصية في الخطاب الأدبي؛ تعبر عن الدلالة المسكوت عنها في النص الغائب، فيصبح النص بين نصين، نص موجود تقوله اللغة، ونص غائب يقوله قارئ منتظر (عياشي، 2002: 119)، وما بين هذين دلالات عميقة على مستوى النص والخطاب والفكر والتلقي والتفاعل مع ذلك؛ مما ينتج عملية تواصلية تضفي الحيوية على النص والخطاب؛ لضمانها تحويل دور القارئ نفسه إلى شريك بدلاً من مستهلك (عبيد، 1986: 47)، يسهم في إعادة إنتاج النص وفهم رسائله.

ووظف المبدعون المعتقلون التصوير والخيال في اختيار أساس النص الأدبي وتكويناته من لغة مجازية، ساهمت في توفير أقنعة ذات امتدادات دلالية محورية وغير محورية لها حضورها في الجنس الأدبي وتفاعلاته النصية مع مختلف دوائر الإبداع (مبدع، نص، متلقي)، علاوة على ارتفاع المنحنى الدلالي في إحياءات الألفاظ والمفردات المعجمية الواردة في بنية أدب المعتقلين، يدل على خصوية المنتج النصي وحيوية دلالاته ضمن سياقات الخطاب الأدبي في الأجناس المطروحة ضمن إبداعات المعتقلين، واعتمد أسلوب النص الخطابي في أدب المعتقلين على بنية خبرية تنقل حقائق حول المعتقلين وظروف اعتقالهم وطريقة التعامل القاسية معهم من قبل السجان، واستخدام بنية أسلوب الإنشاء في طلب تحقيق الأشياء ومراد النفس، واستدعاء ما هو موجود وما ليس موجوداً (عتيق، 2009: 70-71)، في نهاية المطاف طلب يشتمل عليه النص، ويسهم الطلب في تفاعلات نصية بنيوية في سياق الخطاب الأدبي عند المعتقلين؛ نظراً لما يختزله من سؤال للمعنى والطابع الشكلي للدلالة التي تخفي أحياناً الوجود الواقعي للإنتاجات الفنية في النص، فإن هذا التساؤل يبقلاً ممكناً وفعالاً عند النظر للأثر الفني للنص ضمن السياق الخطابي (التركي، 2009: 10)، ويرتبط الأسلوب في مجمله ومفصله بالحالة الوجدانية والشعورية وظرف الاعتقال الذي يتواجد فيه المبدع، واستخدم المبدعون المعتقلون أسلوب المفارقة في بنية نصوص الخطاب، فيقول الكاتب المعتقل عبد الله البرغوثي: "اكتب بحبرك عني وعبر، فزنزاني خرساء صامته كالقبر، اكتب ولا تخف فأنت حر، أما أنا أسير أتجرع المر، اصنع من حبرك كلمات الحرية النصر؛ لتخلق عالياً في سماء الحرية وتطير، اصنع القصة واكتب الخواطر، وارو حكايات كل نائر، فالقيد يكبل معصم الأسير وأنا أسير، أما معصمك فلا يكبله إلا الضمير" (البرغوثي، 2012: 189)، ويبرز ذلك قصيدة الكتابة وارتفاع شعريتها ومضامينها النفسية؛ بالإضافة إلى تشكيل الصورة عن واقع المعتقلين عبر المعجم المشحون بالدلالة المبنية على التضاد؛ كونه يجمل الصورة ويبرها للمتلقى بشكل تعريضي وليس تصريحياً؛ نظراً لواقع السجن وظروف الإبداع، فيؤثر البنية الدلالية لنصوص أدب المعتقلين في تشكيل الدلالة وتداوليتها.

وارتبط بناء النص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين بمرجعيات نصية تتمثل في تداخل معماريات النصوص في أدب المعتقلين من الناحية الفنية؛ بمعنى تمازج الأجناس والأساليب فيما بينها، فيتداخل أسلوب الوصف بالسرد مع الطبيعة الدرامية لجنس الرواية والقصة، ويبرز التناسل كمرجعية أساسية يستدعيها أهل المعتقلات ويوثقونها، تقوم على التوليد والتواصل؛ أي الإنتاجية (فضل، 1992: 223 والبقاعي، 1998: 34)، وللتعبير كذلك عن وجودهم واعتزازهم بهويتهم القومية والفكرية والثقافية، فتمثل نصوص الخطاب الأدبي عند المعتقلات معلومات مباشرة لها علاقتها مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة (بارت، 1998: 37) مع الحدث الأدبي وأطروحاته في إبداع المعتقلين.

ويشتمل التناسل على النصوص الدينية (قرآن كريم، حديث شريف، أثر)، التي أخذت حيزاً كبيراً في التعبير النصي وتجسيداته، والنصوص التاريخية من أحداث وشخصيات ووقائع وغزوات، والنصوص الأدبية من نظم ونثر، ويُلاحظ أن الجنس الفني تعبير عن قوانين الإبداع عند المعتقلين إلى جانب امتلاك خصوصية تفرده الذي لا يتكرر، فتشكل الفنون منظومة موحدة تتعالق إلى جانب ذلك مع مجالات نشاط الإنسان البيئية (أوفسيانيكوف وآخرون، 2007: 15-19)، فوظف المعتقلون التناسل مرجعية تُبنى عليها استراتيجية الخطاب في أدب المعتقلين، فتتم صناعتها عبر امتصاص، وفي نفس الآن عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصياً، ويمكن التعبير عن ذلك بأنها ترابطات متناظرة (Alter jonctions) ذات طابع خطابي (كرستيفا، 1991: 79)، واستلهم الأدباء المعتقلون عناوين لإبداعاتهم لها دلالاتها العميقة والموحية؛ نحو: (ستائر العتمة، مدافن الأحياء، الشتات، اللؤلؤ والمحار، والمقصلة... وجوايس الشباك الصهيوني، المسكوبية، مسك الكفاية، نرجس العزلة، خسوف بدر الدين، جمرات من عنب، بوابة السماء، خريف الانتظار، لن يموت الحلم، الصفعة، عندما يزهو البرتقال، الكبسولة، وجع بلا قرار، قناديل لا تنطفئ)، فالعلاقة بين العتبات والنص والخطاب الأدبي علاقة ترابطية ذات دلالات مرجعية؛ لأنه يحيل إلى النص، كما أن النص يحيل إليه (لحمداني، 1423: 21)، ويمثل العنوان نصاً مفتوحاً على أكثر من قراءة، يهمس بالمعنى دون أن يبوح به؛ ليمارس فعل الغواية على القارئ ويسحبه إلى عالم المغامرة (صباحي، 2013: 245)، ويدعم ذلك تشكيل الرؤية الأدبية في الخطاب المنجز عند المعتقلين؛ نظراً للخلفية الأيديولوجية والثقافية التي يختزلها أهل المعتقلات، وتبرز بوضوح في إنتاجاتهم الأدبية؛ لأنهم أصحاب رسالة حول طبيعة الصراع في بلدهم المحتل، فتشتمل رؤيتهم الإبداعية على تعميق لمحة أو بالأحرى تقديم نظرة شاملة وموقف من الحياة يفسر الماضي ويشمل المستقبل (صباحي، 1987: 23 ودراوشة، 2018: 200)، فبرع المعتقلون في تقديم نموذج مثالي بأفضل شكل جمالي وبحدود الكمال والإمكانات المتوفرة عندهم.

ويُنظر إلى أن براعة المعتقلين في صناعة الحدث الأدبي من خلال إنتاجاتهم الإبداعية، فيلعب الحدث دوراً كبيراً في شحن بنية النص بالدلالات ضمن سياقها الخطابي العام، فكل حدث له مكان وزمان محدد (مرتاض، 1998: 132)، ويرجع ذلك إلى الفكر الأدبي ومعطيات بناء النص في ذوات المعتقلين الفلسطينيين، وما يمتلكونه من تجارب أدبية غنية لها تفاعلاتها الوجدانية العميقة في مكنون الذات والمكان والزمان وضروب الأدب، فلم يكن أدب المعتقلين سطحياً أو متمرداً بل هو أدب عميق يحمل شيفرات دلالية له خصوصيته نظراً للتجربة القاسية التي يمر بها منتجو الإبداع، فيمكن أن يتم التعامل معه من خلال إقامة المتلقي له أو الناقد أو القاري في صورته التي أنتج فيها ودائرته التي خرج منها. يمتاز بناء النص في أدب المعتقلين بالربط النحو والتماسك الدلالي والمقصدية والمقبولية والإخبارية الإشهارية في صلب الخطاب حول الموضوعات التي يتحدث عنها، والمقامية والتناسل (مصلوح، 1991: 154 وفضل، 1992: 252 وبحيري، 1993: 142 والزناد، 1993: 16 وبيجراند، 1998: 103) كما يتضح من خلال المناقشات السابقة.

ويحتاج فهم نصوص الخطاب في أدب المعتقلات إلى درجة عالية من الفهم الواعي لطبيعة التكوين والطرح الإبداعي، وظروف إنتاج الأجناس الإبداعية في المعتقلات، والقدرة على تحليل مقاصد النص ومغازيه في الخطاب عبر إقامته في صورته الأساسية التي أنتج عبرها، بالإضافة إلى الثقافة النقدية الكافية التي تسبر أغوار الإبداع الأدبي عند المعتقلين، والتعمق في إدارة المادة الأدبية المعطاة وفق بنية النصوص وخصائصها الخطابية في سياق الأجناس الأدبية المتنوعة، ويلاحظ أن بناء النصوص في الخطاب الأدبي عند المعتقلين يُثري التجربة الأدبية والنقدية في ساحة الأدب العربي الفلسطيني، ويعمل على تنمية تذوق أسرار الجمال واللغة الشعرية التي تترجم رسائل النصوص، وتسهم في فاعلية إعادة خلقها وتكوينها في الممارسة النقدية؛ مما يسير القيمة الموضوعية والفنية لبنية نصوص الخطاب الأدبي عند المعتقلين، ويعمل على تدعيم أسس الإبداع من منطلقات محورية لها ارتباطاتها الفكرية وتداولاتها الثقافية التي تنبع من الوعي بالمنتج الأدبي وتطبيقاته في المعتقلات الصهيونية، ويعزز كل ما سبق الكثافة الدلالية والتأويلية للإبداع الأدبي عند المعتقلين.

النتائج والتوصيات

توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

أولاً- النتائج:

- 1- أبداع المعتقلون الفلسطينيون في إنتاج نصوص الخطاب الأدبي عبر أجناس متنوعة من النظم والنثر، لها خصائصها وسماتها ضمن الأدب العربي الفلسطيني.
- 2- تنطلق فلسفة بناء النص في الخطاب الأدبي من مشكّلات لغوية وغير لغوية ومرجعيات ومرتكزات تأويلية ونسقيات كتابية، تظهر من خلال تداولها في السياق والمقام.
- 3- تقوم بنية نصوص الخطاب الأدبي على معادلات موضوعية تنطلق من واقع تجربة المعتقلين والبنية الحاملة والشوق والحنين والانعتاق من السجن، وبرز ذلك عبر دلالات تنويرية وتنويرية تتوافق مع طبيعة الصراع ومعطياته على ثرى فلسطين.
- 4- قوة العلاقة بين بناء النص في الخطاب الأدبي والخلفية الأيديولوجية والثقافية التي يختزلها المعتقل المبدع في ذاته، فتبرز آثارها في مكونات النص ومشكّلاته.
- 5- ساهم الفضاء المغلق في إثراء نصوص الخطاب الأدبي على مستوى العاطفة والخيال والتصوير والتلقي والشكل والمضمون وما تشتمل عليه من محاور موضوعية وبنائات فنية لها معماراتها في شتى الأجناس بأدب المعتقلين.
- 6- الاعتماد في بناء نصوص الخطاب الأدبي على مرجعيات دلالية ومرتكزات تأويلية ونسقيات كتابية لها حضورها اللافت في فهم مقاصد النصوص ورسائل الخطاب الأدبي وتحليل شيفراته الدلالية الموجودة فيه.
- 7- كثافة الدلالة المعجمية في النص ولغته المباشرة وغير المباشرة في الخطاب التي تتمثل في التصوير والإسقاط وإضفاء الحياة على الجمادات والتميز والتكنية والاستعارة؛ بهدف التعمية وضمان تفاعل المتلقي في أدب المعتقلين.
- 8- تنوع التشكيل الجمالي وقضاياها في نصوص الخطاب الأدبي عند المعتقلين، فاستلهم المبدع المعتقل تصوراته وتمثيالاته من وحي الواقع والخيال والذكريات، وبرزت تقنيات الوصف والسرد في تكوين الصورة البلاغية ومقوماتها التطبيقية في نصوص الخطاب ومعطياته في أدب المعتقلين، ورفع ذلك درجة التذوق الجمالي للمعطى النصي ومقوماته اللسانية في مختلف البنى التي يشتمل عليها نص الخطاب الأدبي.

9- حيوية العلامة اللغوية ودوالها السيميائية في صلب نصوص الخطاب الأدبي، وارتباط ذلك بالتجربة لدى المبدعين ورؤيتهم للواقع في أدب المعتقلين الفلسطينيين.

ثانياً – التوصيات:

1. ضرورة الإلمام بطبيعة بناء نصوص الخطاب الأدبي عند قراءة أدب المعتقلين؛ لأن هذه النصوص لها خصائصها من ناحية ظروف إنتاجها وجماليات تشكيلها وتكويناتها اللغوية وغير اللغوية وآليات إخراجها وطباعتها، فهي تحتاج إلى وعي وإحاطة ثقافية بالمنتج الإبداعي عند المعتقلين.
2. الاهتمام بأدب المعتقلين ونشره والإشراف على إخراجها من قبل المؤسسات الثقافية، وعقد الفعاليات والأنشطة العلمية الهادفة من مؤتمرات علمية وندوات فكرية ومحاضرات إرشادية وورش عمل وأيام دراسية ومواسم ثقافية تبرز قيمة نصوص الخطاب الأدبي وما يشتمل عليه من خواص لغوية وغير لغوية.
3. دراسة البنى اللسانية والصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية في صلب نصوص الخطاب الأدبي عند المعتقلين والعمل على تحليلها وتفسيرها ونقدها عبر مناهج اللسانيات الحديثة والنقد الأدبي.

فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد العليم(د.ت): الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، مكتبة غريب، ط1، القاهرة.
- ابن جعفر، قدامة(1939م): نقد الشعر، دار المعارف، القاهرة.
- أبو المكارم، علي(2006م): مقومات الجملة العربية، دار غريب، ط1، بالقاهرة.
- إسماعيل، عز الدين(د.ت): الأدب وفنونه- دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة.
- أوفسيانيكوف وآخرون(2007م): تداخل أجناس الفن، ترجمة: حسين جمعه، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط1، الأردن.
- بارت، رولان(1998م): نظرية النص، منشور في كتاب "أفاق التناسية المفهوم والمنظور"، ترجمة وتقديم: محمد البقاعي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- بحراوي، حسن(1990م): بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت والمغرب.
- بحيري، سعيد(1993م): علم لغة النص، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة.
- البرغوثي، عبد الله(2012م): أمير الظل .. مهندس على الطريق، دن.
- البطش، جهاد(2007م): المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، مكتبة اليازجي، غزة.
- البقاعي، محمد(1998م): دراسات في النص والتناسية، مركز الإنماء الحضاري، ط1، سوريا.
- بيجراند، روبرت(1998م): النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة.
- التريكي، رشيدة(2009م): الجماليات وسؤال المعنى، ترجمة وتقديم: إبراهيم العميري، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس.
- تليمة وراضي، عبد المنعم وعبد الحكيم(1984م): النقد العربي، دار الثقافة، القاهرة.
- جاد الله، سلمان(2000م): أدب المواجهة (منايع أدب الحركة الأسيرة الوطنية)، جمعية الأسرى والمحريين، ط1، غزة.
- جاد الله، سلمان(2014م): المواجهة والاحتراف(رؤية نقدية)، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، ط1، فلسطين.
- جبر، محمد(1988م): الأسلوب والنحو، دار العودة، ط1، الإسكندرية.
- جينيت، جيرار(1986م): مدخل لجامع النص، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، دار توبقال للنشر، ط2، المغرب.
- حسان، تمام(2006م): اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، القاهرة.
- حمدونة، رأفت(2018م): الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الأدبية الفلسطينية الأسيرة، وزارة الإعلام، ط1، فلسطين.
- حميدة، مصطفى(1997م): نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر وكتبة لبنان ناشرون، ط1، القاهرة وبيروت.
- دراوشة، حسين(2014م): أساليب قراءة النصوص في الدراسات الأدبية والنقدية عند العرب وسبل تطويرها، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ب/قسم الآداب واللغات، ع21، جنفي، الجزائر.

- دراوشة، حسين (2018م): مضامين لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها في شعر المعتقلات، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع13، ج2، جانفي، الجزائر.
- دراوشة، حسين (2019م): الدلالة الصوتية والصرفية في لغة نصوص الخطاب الشعري عند المعتقلين الفلسطينيين- ديوان الضوء والأثر أنموذجاً، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام السادس، ع48، يناير، بيروت.
- دراوشة، حسين (2020م): الدلالة النحوية والمعجمية في شعر المعتقلات المعاصر- ديوان الضوء والأثر أنموذجاً، مجلة الميادين في العلوم الإنسانية، ع4، الجزائر.
- الراجحي، عبده (1999م): التطبيق النحوي، مكتبة المعارف، ط1، القاهرة.
- رماني، إبراهيم (1988م): النص الغائب في الشعر العربي الحديث، مجلة الوحدة، ع49، أكتوبر، المغرب.
- الرويلي واليازغي، ميجان وسعد (2002م): دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب وبيروت.
- زكي، أحمد (1972م): النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الزناد، الأزهر (1993م): نسيج النص، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت.
- زيدي، وليد (2020م): وظائف التقديم والتأخير في تأويل القول، الدار التونسية للكتاب، ط1، تونس.
- السامرائي، فاضل (2000م): معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الأردن.
- السلحوت، جميل (2012م): أدب السجون، دار الجندي، ط1، القدس.
- السعران، محمود (1997م): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة.
- الشاوش، محمد (2001م): أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس "نحو النص"، المؤسسة العربية للتوزيع، ط1، تونس.
- الشنيري، حامد (2004م): النظام الصوتي للغة العربية- دراسة وصفية تطبيقية، منشورات مركز اللغة العربية بجامعة القاهرة، ط1، مصر.
- الصالح، صبيح (1960م): دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط1، بيروت.
- صباحي، حميدة (2013م): العنوان وتفاعل القارئ "قراءة تأويلية في شعر عبد الله العشي"، مجلة قراءات، ع2، الجزائر.
- صبيح، محي الدين (1987م): الرؤيا في شعر البياتي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، العراق.
- عبد الجليل، عبد القادر (1998م): علم الصرف الصوتي، دار أزمنا للنشر، ط1، الأردن.
- عتيق، عبد العزيز (2009م): علم المعاني، دار النهضة العربية، ط1، بيروت.
- العزاوي، أبو بكر (2020م): الحجاج بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن.
- عيَّاد، شكري (1986م): دائرة الإبداع مقدمة في أصول النقد، دار إلياس العصرية، ط1، القاهرة.
- عياشي، منذر (2002م): الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، سوريا.
- عيد، محمد (د.ت): النحو المصفى، مكتبة الشباب، القاهرة.
- فضل، صلاح (1992م): بلاغة النص وعلم النص، منشورات عالم المعرفة، ط1، الكويت.
- الفقي، صبيح (2000م): علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة.
- قاسم وآخرون، عبد الستار (د.ت): مقدمة في التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية، منشورات جامعة النجاح، نابلس.
- قراقع، عيسى (2001م): الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو (1993-1999م)، معهد الدراسات الدولية، فلسطين.
- القزويني، جلال (د.ت): الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد خفاجي، دار الجيل، ط3، بيروت.
- قطوس، بسام (2002م): تمتع النص متعة التلقي: قراءة ما فوق النص، أزمنا للنشر، ط1، الأردن.
- كاظم، نادر (2016م): الهوية والسرد، دار الفراشة، ط2، الكويت.
- كرستيفا، جوليا (1991م): علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب.
- لحمداني، حميد (1423هـ): عتبات النص الأدبي (بحث نظري)، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي، مج12، ع46، شوال، جدة.
- ماريوباي (1998م): أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، القاهرة.

- محمد، حسن(2005م): الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين خلال الاعتقال وبعد التحرر، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين.
- مرتاض، عبد الملك(1998م): في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، منشورات عالم المعرفة، ط1، الكويت.
- مصلوح، سعد(1991م): نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية"، سعد مصلوح، مجلة فصول، مج10، ع2، يوليو، مصر.
- مطلوب، أحمد(1980م): أساليب البلاغة(الفصاحة-البلاغة-المعاني)، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت.
- ناظر الجيش(1428هـ): تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي فاخر وآخرون، دار السلام، ط1، القاهرة.
- ناظم، حسن(1994م): مفاهيم في الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت والمغرب.
- هايمن، ستانلي(1960م): النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، ط1، بيروت.
- هلال، محمد غنيمي(1983م): الأدب المقارن، دار العودة، بيروت.